أناشيد غزلية

# البســـتاني

## للشاعر الفيلسوف طاغور

## بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

« تشكى إلى كثير من صحابى ومن قراء ( الرسالة ) القراء بعض ما وجدوا فى أناشيد جيتانجالى من شـدة وصعوبة وصلابة ؛ وفى الحق لقد وجدت فيها قوة السبك ومتانة الأسلوب وعمق الفكرة الفلسفية ، فما استطعت أن أنحرف عما أراده المؤلف لأناشيده . وأنا أريد أن أنقل إلى العربية ترجمة صحيحة فيها الأمانة والدقة والاتقان ، فجاءت كما قرأها القارىء وكما تحدث إلى عنها المتحدث ... »

« ولقد وعدت رفاقى أن أرفه عنهم ببعض ما نالهم من أناشيد جيتانجالى بأناشيد أخرى فيهـا رقة النسيم العليل وابتسامة الفجر الضاحك ، وحلاوة الأمل الباسم ... تلك هى أناشيد ( البستانى ) التى أقدمها للقراء اليوم وما بعده ، وهى أناشيد غزلية كتبها طاغور بالهندية وترجمها هو إلى الانجليزية وهى ٨٥ نبضة من نبضات قلب شاعر سما بقلبه وعقله معاً فوق الانسانية ليهبط عليها بوحى من نفسه الشاعرة الرقيقة »

« وهى كلها نوع من الغزل الرقيق الرفاف لم نر مثله فى اللغة العربية . فها هى ذى أترجمها كلها — إن شاء الله — والله أسأل أن يوفقنى ... »

كامل

— ١ —

الخادم — أسبغ على خادمك بعض فضلك يا مليكتى !

الملكة — لقد انفض السامر وتفرق الخدم ، فلماذا جئت وقد انفرط عقد الليل ؟

الخادم — حين تخلو مليكتى إلى نفسها أبتغى أنا إليها الوسيلة.

لقد جئت لأسألك ما ادخرت لخادمك من عمل

الملكة — وماذا تبتغى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

الخادم — مرى فأكون بستانىّ حديقة أزهارك

الملكة — يا للحمق !

الخادم — سأنفض عن نفسى كل عمل سوى هذا

سألقى بسيفى ورمحى معاً جانباً . لا تقذفنى بى إلى غيابة قصورك النائية ، ولا تدفنى بى إلى ميدان القتال ؛ ولكن مرى فأكون بستانىّ حديقة أزهارك

الملكة — وماذا تريد أن تعمل هناك ؟

الخادم — سأقوم على خدمتك فى ساعات الفراغ

وأتعهد حشائش الطريق لتظل خضراء ناضرة ... الطريق الذى تجتازين كل صباح حيث تتناثر على قدميك أوراق الزهور التى تسير الهوينى فى طريق الفناء ، كأنها تحييهما فى ولاء

وأرجّح بك الأرجوحة بين أغصان الدوح ، حيث تجهد أشعة القمر نفسها أن تندفع خلال أوراق الشجر لتقبل ذيل مرطك

ثم أترع مصابيحك بالزيت العطر حين توشك أن تنضب ، وأنثر على موطىء قدميك الصندل والزعفران فى دقة وإتقان

الملكة — وماذا تنتظر من أجر ؟

الخادم — أجرى أن تأذنى فأمسك بيدك البضة الناعمة التى كأنها زهرة اللوتس الناضرة ، فأزين معصمها بسوار من زهر ؛ وأصبغ أخمص قدميك بعصير الزهر الأحمر ، ثم أنفض عنها ما عساه أن يعلق بها من ذرات التراب

الملكة — لقد أجبت سؤلك يا خادمى ، فاذهب فأنت منذ الآن بستانىّ حديقة أزهارى

— ٢ —

« آه ، أيها الشاعر ! إن المساء يقبل فى أناة ، فيدب الشيب فى شعراتك »

« أتسمع من خلال تأملاتك وأنت فى خلوتك رسالة الغيب ؟ »

قال الشاعر : « حقاً ، إنه الليل ، وأنا جالس أتسمع لأن صوتاً سيرتفع — فى جوف الليل — من جانب القرية »

« وأنا أرقب القلوب الشابة وهى تتلاقى بعد تيه ، فتنطلق نظرات الهوى تطلب الموسيقى لتصدع من حواليها السكون وتتحدث حديثها »

« من ذا يستطيع أن ينسج أغانيها على منواله إن أنا انزويت على شاطىء الحياة لا أستشعر فى نفسى سوى الموت والحياة الأخرى ؟ »

« لقد توارى أول نجم بزغ عند الغروب »

« ووميض نار الموتى [1] إلى جانب النهر الهادئ يخمد رويداً رويداً »

(١) نار الموتى : هى نار تشب عند الهنود ليحرقوا فيها جثث موتاهم وهو بعض طقوسهم الدينية

« وعواء أبناء آوى يرتفع من جنبات المنزل الموحش فى ضوء القمر الشاحب »

« وإذا تلبث مساقر هنا قليلاً ليرقب الليل ، وأطرق حيناً ليسمع همهمة الظلماء ؛ فمن ذا الذى يسكب فى مسمعيه أسرار الحياة إن أنا أوصدت دونه بابى لأتحلل من قيود الانسانية ؟ »

« إنها خرافة : أن يدب الشيب فى شعراتي »

« إننى دائماً شاب كأصغر شباب القرية ، وشيخ كأكبر كهولها »

« بعض الناس ترتسم على شفاههم ابتسامة عذبة رقيقة ، والبعض يشع من نظراتهم الخبث »

« بعض تنهمر عبراتهم فى وضح النهار ، والبعض يكفكفون دموعهم فى هدأة الليل »

« كل أولئك فى حاجة شديدة إلىّ ، فأنا لا أجد فى عمرى مُنفسحاً لأفكر فى الحياة الآخرة »

« إننى أعيش مع كل أولئك ، فماذا يضيرنى إن دبّ الشيب فى شعراتي »

— ٣ —

عند الصباح طرحت شبكتى فى البحر

ثم جذبتها من الهوة السحيقة فألفيت فيها أشياء ذات بهجة وجمال : بعض يشع كالابتسامة ، وبعض يلمع كالعبرة ، وبعض يتألق كأنه خد عروس

وعند الأصيل عُدتُ إلى دارى أحمل ثقل يومى ؛ وعلى جانب الطريق رأيت التى أحب جالسة في الحديقة لا تجد عملاً فهى تعبث بأوراق زهرة

فاندفعت إليها وألقيت ثقلى عند قدميها ثم وقفت بإزائها صامتاً ونظرت هى إلى أشيائى ثم قالت : « ما أعجب ما أرى ! ماذا يفيد كل هذا ؟ »

فأطرقت ملياً والخجل يعركنى عركا ، ثم طاف بخاطرى « أنى لم أجهد نفسى فى سبيل هـذا ، ولم أدفع له ثمناً ؛ إن كل ذلك لا يستأهل أن يكون هديتى إليها »

فقذفت بها جميعاً — واحدة فواحدة — إلى الطريق

وحين أسفر الصبح جاء السائحون أرسالا ، فالتقطوا كل ما قذفت به وحملوه إلى بلاد نائية

فاضل محمود حبيب

# نقل الأديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبى

٣٥٣ — على هذا بنيت الدنيا

أنشد عمر ( رضى الله عنه ) قول عَبْدة بن الطيب

والمرء ساع لأمر ليس يدركه

والعيش : شح وإشفاق ، وتأميل [1]

فقال : ما أحسن ما قلتم ! على هذا بنيت الدنيا

٣٥٤ — بلى ، انه للعيش فى الصبح رامح

فى ( الموشح ) للمرزبانى : الشعراء على أن الهموم متزايدة بالليل — متفقون ، ولم يشذ عن هـذا المعنى ويخالفه منهم إلا أحدقهم بالشعر . والمبتدىء بالاحسان فيه امرؤ القيس [2] فانه بحذقه وحسن طبعه وجودة قريحته كره أن يقول : ان الهم فى حبه يخف عنه فى نهاره ويزيد فى ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه فى قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال :

ألا أيها الليل الطويل ، ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فأحسن فى هـذا المعنى الذى ذهب إليه وإن كانت العادة غيره ، والصورة لا توجبه . ثم صبّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراه استحالة معناه فى المعقول ، وأن القياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به ، حتى لو كان الرادّ عليه من حذاق المتكلمين ما بلغ فى كثير نثره ما أتى به فى قليل نظمه ، وهو الطرماح بن حكيم فانه ابتدأ قصيدة فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح بِبَمّ وما الاصباح فيك بارح [3]

فأتى بلفظ امرىء القيس ومعناه ثم عطف محتجاً مستدركا فقال :

---

(١) فى ( مفضلية ) طويلة جيدة ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٢) امرؤ يعرب من مكانين ( الهمزة والراء ) ومن العرب من يعربه من الهمزة وحده ويدع الراء مفتوحة ( التاج )

(٣) بم : ( بالفتح وتشديد الميم ) مدينة جليلة من أعيان مدن كرمان ( معجم البلدان ) وفى ( اللسان ) : للطرماح : أليلتنا فى بم كرمان أصبحي